علم اللغة الحديث (اللسانيات) (Linguistics)

تُعرف علم اللغة الحديث (Linguistics) بأنه الدراسة العلمية للغة ، التي تتحقق باستعمال المناهج العلمية في دراستها ، إذ كان هدف الباحثين من ذلك أن يجعلوا دراسة اللغة عملاً دقيقاً منظماً على مثل ما تحقق في العلوم الأخرى .

ويمكن أن نتجاوز الإيجاز في التعريف السابق لعلم اللغة بتعريف آخر يرسم لنا حدّه وحدوده ، ويقفنا على موضوعاته وغاياته إذ يعرف ((علم اللغة : هو العلم الذي يدرس اللغة ، أو اللغات دراسة موضوعية ، غرضها الكشف عن خصائصها وعن القوانين التي تسير عليها ظواهرها :- الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية ، والاشتقاقية . والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض ، وتربطها بالظواهر النفسية ، وبالمجتمع ، والبيئة الجغرافية .)).

إنّ موضوع علم اللغة يتحدد في كل النشاط اللغوي للإنسان في الماضي والحاضر ، يستوي في هذا الإنسان البدائي والمتحضر ، واللغات الحية والميتة ، والقديمة والحديثة ، دون اعتبار لشرقية أو لون ، أو جودة أو رداءة أو غير ذلك .

اللغة التي يبحث فيها علم اللغة ، ليست هي اللغة العربية أو الانكليزية أو الالمانية ، وانما هي اللغة في ذاتها ، ومن اجل ذاتها ، وهي اللغة التي تظهر وتتحقق في اشكال لغات أخرى كثيرة ، ولهجات متعددة وصور مختلفة من صور الكلام الانساني ، وان كانت اللغة العربية تختلف عن الانكليزية ، وهذه تختلف عن الالمانية ، فإن هناك اصولاً وخصائص جوهرية ، تجمع ما بين هذه اللغات ، كما تجمع بينها وبين سائر اللغات وصور الكلام الانساني ، وهو أن كلاً منها لغة ، أو نظام اجتماعي معين ، تتكلمه جماعة معينة ، بعد ان تتلقاه عن المجتمع .

وهكذا نرى أن علم اللغة ، يستمد مادته من النظر في اللغات على اختلافها ، وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص التي تجمع اللغات الانسانية كلها في إطار واحد .

ويرى احد الباحثين العرب أن بعض الباحثين المحدثين يحاول ان يخطئ بين مصطلح علم اللغة (Linguistics) بمفهوم مصطلح آخر أقدم منه استعمالاً في مجال دراسة اللغة وهو (الفيلولوجيا) (philology) الذي قد يرادفه عند بعض الباحثين ، ومن هنا فالحاجة ماسة الى بيان الفرق بين المصطلحين

الفيلولوجيا (philology)

إذا كان دي سوسير قد قرر أن موضوع علم اللغة هو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، فإن مفهوم هذا المصطلح (أعني علم اللغة) يختلط بمفهوم آخر أقدم منه استعمالاً في مجال دراسة اللغة وهو مصطلح (الفيلولوجيا - philology) المقتبس من جذرين يونانيين يُراد بأحدهما «حب»، وبالآخر «لغة»، والذي قد يرادف (علم اللغة) عند عدد من الباحثين والدارسين.

كانت النهضة الأوربية قد اعتمدت على بعض حضارة الإغريق والرومان الذي تمثل في فلسفة اليونان ودراستهم اللغوية، وتراث الرومان في القانون والإدارة وفي الدراسات اللغوية التي كُتبت باللاتينية لغة الإمبراطورية البرومانية.

وقد انصرفت الهمم إلى إحياء هاتين اللغتين ودراستهما ونقد ما جاء من نصوص قديمة نقداً لغوياً في طابعه، وأصبحت هذه الدراسات الشارحة والناقدة للنصوص القديمة باللغتين المذكورتين تعرف باسم (الفيلولوجيا) (philology) وبهذا المعنى أصبح لفظ (الفيلولوجيا) يعني دراسة النصوص القديمة من حيث القاعدة ومعاني المفردات وما يتصل بذلك من شروح ونقد واشارات تاريخية وجغرافية... وكان عنصر (القدم) من أهم العناصر التي يتكون منها معنى الفيلولوجيا.

وفي نهاية القرن الثامن عشر اكتشف أن السنسكريتية لغة الهند القديمة المقدسة لها علاقة لغوية باللاتينية واللغات أخرى في أوربا، وقد اكتشف هذه العلاقة عدد من الباحثين، ومع قرب نهاية القرن التاسع عشر كانت قد توفرت للباحثين معلومات كافية عن اللغات كثيرة ذات بنية مختلفة ليدركوا في الحال أن وجوه الشبه الملحوظة بين اللغات الكلاسيكية في أوربا والسنسكريتية واضحة جداً بحيث لا تحتاج الى توضيح.

ومنذ هذا التاريخ بدأ يظهر ما يسمى (الفيلولوجيا المقارنة) وكانت دراسة السنسكريتية وعلاقتها باللغات الهندية الأوربية تعتمد على النصوص المكتوبة، ومن هنا غنى الفيلولوجيون بتحقيق هذه النصوص وشرحها والمقارنة بينها. ويمكن أن يقال ان (الفيلولوجيا) كانت تعني أمرين:

① الدراسة المقارنة للغات. ② تحقيق النصوص وشرحها.

ويرى ماريو باي في التفريق بين مجال علم اللغة والفيلولوجيا يتحدد في أن موضوع الفيلولوجيا لا يختص بدراسة اللغات فقط ولكنه يجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والنتاج الأدبي للغات موضوع الدراسة، أما علم اللغة فيركز على اللغة نفسها، ولكن مع إشارات عابرة أحياناً الى قيم ثقافية وتاريخية، ويرى علم اللغة معظم اهتمامه الى اللغة المتكلمة، فإن كان يوجه كذلك الى اللغة المكتوبة شيئاً من الاهتمام.

فقه اللغة

وهو مصطلح عربي خالص لا يعرفه القريبون في لغاتهم، ويُعنى بدراسة القضايا اللغوية من حيث أصواتها ومفرداتها وتراكيبها، وفي خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وما يطرأ عليها من تغيرات وما ينشأ من لهجات، فيبحث في المعجمات والمفردات من حيث المعنى والأصالة والاشتقاق والنحت والمشترك والترادف ونحوها، كما يبحث في وظيفة اللغة وأصلها ومصادرها. بمعنى أنه العلم الذي يهتم بفهم اللغة ودراستها.

وقد شهد استعماله بعض التخوض، على نحو ما يلي ومن الطعائن التي نُسبت إليه وهي :-

(١) هو ما أطلقه العرب القدماء في القرن الرابع الهجري، ولعل أول تسجيل لهذه التسمية كان في كتاب (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها) لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) بعد ذلك ظهر كتاب (فقه اللغة وأسرار العربية) للثعالبي (ت ٤٢٩هـ) وفيه يرى أن (فقه اللغة) علم خاص بفقه المفردات وفهمها، والفروق الدقيقة في دلالاتها.

(٢) يطلق البعض فقه اللغة أحياناً على الدراسة المقارنة للغة العربية واللغات السامية كما في كتاب (اللغات السامية) لتولدكه، و(تاريخ اللغات السامية) لإسرائيل ولفنسون.

(٣) يطلق البعض (فقه اللغة) على دراسة اللهجات العربية على نحو ما نرى في كتاب (اللهجات العربية) للدكتور إبراهيم أنيس، و(القراءات واللهجات) لعبد الوهاب محمودة

(٤) يطلق البعض (فقه اللغة) على مقارنة الألفاظ الفصيحة وغير الفصيحة، سواء أكانت هذه الألفاظ من لهجات قبلية قديمة أو من لهجات عامية حديثة. ويبدو ذلك في كتب مثل (درة الغواص في أوهام الخواص) للحريري، و(لحن العامة) لأبي بكر الزبيدي وغيرها.

(٥) يطلق البعض (فقه اللغة) على دراسة الأصوات العربية على نحو ما تبدو في كتاب (سر صناعة الإعراب) لابن جني، وكتاب (أسباب حدوث الحروف) لابن سينا وغيرهم.

وحين اتصل المحدثون العرب بالدراسات اللغوية الحديثة التي سمعناها من قبل (علم اللغة). أطلقوا على هذه الدراسات أول الأمر (فقه اللغة)، ولكنهم أخذوا يتخلون عن هذه التسمية، ولكنهم مع تخليهم عن هذه التسمية، لم يتفقوا على اسم للدراسات اللغوية الحديثة، إذ أطلقوا عليها طائفة من الأسماء مثل :- علم اللغة، واللسانيات، والألسنية، واللغويات الحديثة، وعلم اللسن. وما زال المحدثون يختلفون في نظرتهم إلى هذا المصطلح، فهناك فريق تأثر بالدراسات العربية القديمة، فجاءت نظرته متأثرة بنظرتهم التي لا تفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة ومنهم د. علي عبد الواحد وافي ود. محمد المبارك ود. صبحي الصالح.

وفريق آخر تأثر بالدراسات اللغوية الغربية، فجاءت نظرته شاملة لما هو موجود في الدراسات اللغوية الغربية، ومنهم د. محمود السعران ود. محمود فهمي حجازي ود. عبده الراجحي.